

٢ - التمييز بين الكفاية اللغوية والأداء الكلامي

تركز النظرية الألسنية التوليدية والتحويلية على تحليل مقدرة المتكلم على أن ينتج الجمل التي لم يكن قد سمعها من قبل وعلى أن يفهمها. ويقوم عمل الألسني في الواقع، على صياغة قواعد اللغة، أي القواعد الكامنة ضمن مقدرة متكلم اللغة على إنتاج الجمل وتفهمها. وفي هذا الإطار، تميز النظرية الألسنية بين ما يسمّى بالكفاية اللغوية (الملكة اللسانية) وبين الأداء الكلامي. فالكفاية اللغوية تحدّد بأنها المعرفة الضمنية بقواعد اللغة التي هي قائمة في ذهن كل من يتكلم اللغة، في حين أنّ الأداء الكلامي هو الاستعمال الأنّي لهذه المعرفة في عملية التكلم. ويقود هذا التمييز إلى اعتبار أن الكفاية اللغوية حقيقة عقلية كامنة وراء الأداء الكلامي الذي ينحرف، في الواقع، بعض الشيء عنها، وذلك لأسباب عائدة إلى ظروف التكلم. فمتكلم اللغة يلجأ خلال الأداء الكلامي بصورة طبيعية، إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية، كلّما استعمل اللغة، وفي مختلف ظروف التكلم. وهكذا، فإنه بالإمكان القول إن الكفاية اللغوية هي التي توجّه عملية الأداء الكلامي.

ينجم عن هذا التمييز بين الكفاية اللغوية أو المعرفة الضمنية بقواعد اللغة، وبين الأداء الكلامي أو الاستعمال الأنّي للغة، اعتبار الأداء الكلامي بمنزلة الانعكاس المباشر للكفاية اللغوية. وغنيّ عن الذكر أنّ هذا التصوّر يستند، بصفة أساسية، إلى مفهوم مثالي تلتزم به النظرية لأغراض منهجية. وذلك لأنّ الأداء الكلامي، كما تمكن ملاحظته، لا يخلو عادة من بعض الانحراف عن قوانين اللغة. لذلك فهو لا يعكس الكفاية اللغوية مباشرة ولا بشكل تامّ. فالتماس المثالية بهدف مسايرة مقتضيات البحث، يجعلنا نفترض أنّ الأداء الكلامي هو الانعكاس الحاصل في عملية التكلم، للكفاية اللغوية. وعندما نقول إنّ الإنسان يستعمل في عملية التكلم، كفايته اللغوية، فإنّ كلامنا هذا لا يعني أنه يستعملها بصورة تامة ومتكاملة. وذلك لأنّ الأداء الكلامي، وإن يكن ناجماً عن الكفاية اللغوية، فإنه يشتمل عامة على عدد من المظاهر الخاصة التي لا ترتبط بالتنظيم اللغوي، والتي تعزى إلى عوامل بالغة التشابك وخارجة عن إطار اللغة. ويامكان المتكلم أن يكتشف هذا الانحراف عن قواعد اللغة في أدائه الكلامي انطلاقاً من معرفته الضمنية بقواعد اللغة، أي بالعودة إلى كفايته اللغوية بالذات.

هنا لا بد لنا من أن نطرح السؤال التالي: ما هي أبعاد هذا التمييز بين الكفاية